اسم الدرس : لمن كان له قلب | في ظلال سورة ق

تصنيف الدرس : خطبة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أما بعد..

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يهتم بهذه السورة، وخاصة في المجامع -عندما يجتمع الناس-؛ في صلاة الجمعة أو في يوم العيد، في أكثر التجمعات؛ كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه السورة[1]

فكان يقرأها ويرددها على المنبر كثيرًا، وكان يصلي بها في العيد، في الركعة الأولى من صلاة العيد..
هذه السورة التي أمره الله -عز وجل- فيها أن يُذَكر الناس بالقرآن، فقال له في آخر السورة: {... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق : 45]

فكان - صلى الله عليه وسلم - يُذَكر الناس بهذه السورة على المنبر، كما تقول أم هشام بنت حارثة: "وما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله، يقرؤها على الناس في كل جمعة إذا خطبهم"[2]

النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يُكثر من قراءة هذه السورة على المنبر، لدرجة أنها استطاعت أن تتلقى سورة ق، أو تحفظها فقط لسماعها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر..

وأما عن قراءته لها في صلاة العيد؛ فعن أَبي واقدٍ اللَّيثيّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: "كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقرأُ في الفِطرِ والأضحى بـ (ق) و (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) "[3]

إذًا فهذه السورة لها اهتمام خاص، قال بعض العلماء :
إن سور القرآن التي من أول سورة ق لآخر المصحف لها اسم خاص؛ فتسمى بـ (المفصل)
وكان ابن عباس يسمي هذا الجزء من أول سورة ق إلى سورة الناس؛ كان يسميه بـ(المحكم)

وكأن هذا الجزء لو أحكمه الإنسان؛ أُحكِم دينه، وهذا الجزء لو لم يكن موجودًا في حياة الناس؛ أصبح تدينهم أجوف، هذا الجزء من القرآن الذي يكثر فيه ذكر الدار الآخرة...

هذا الجزء إن لم نكثر من الكلام منه على ألسنتنا، وفي خطبنا وبين الناس، لو أصبح خطابنا الدعوي للناس خاليًا من الكلام عن الآخرة؛ سيكون خطابًا أجوفًا.

---

1 إنها سورة ق

2 مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٨٧٣ • [صحيح]

3 عندما وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للناس : إني أنا النذير المبين .. وقال إني أنا النذير العريان.. وقال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أول ما وقف النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقف نذيرًا للناس بين يدي عذاب شديد. ١- [عن ** أبي واقد الليثي:] أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ سألَ أبا واقدٍ اللَّيثيَّ: ما كان رسولُ اللهِ ﷺ يقرأُ به في الفِطرِ، والأضْحى؟ قال: كان يقرأُ ب (ق والقُرآنِ المجيدِ) و(اقْتَرَبَتِ الساعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ) - الترمذي (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي ٥٣٤ • حسن صحيح

أول ما يُطرح على الناس من الدين، ليس فقط مجرد أنه مشروع إصلاحي -يُصلح لهم دنياهم بعيدًا عن أُخراهم- ولكن أول ما يُقدم للناس: [النذارة] حتى يتقوا ذلك اليوم الشديد؛ يوم القيامة.

وحينما تُقدم الدنيا للناس، لابد أن تُربط بالآخرة، ولن تصلح الدنيا بعيدًا عن الآخرة، حتى لو قدم إصلاحًا دُنيويا وقتيًا للناس؛ فما هو إلا متاع قليل!

ولذلك في هذه السورة، أمر الله تعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يُذكر بها الناس، فقال:

{...فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق : 45]

فيُذكر بالقرآن وبهذه السورة ومعانيها (الإكثار من ذكر الآخرة)

تبدأ هذه السورة بقوله تعالى: (ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق 1 :3]

تبدأ السورة بهذا الحرف، الذي يهز الإنسان، ويوقفه عن سيره، وكأنه يقول له:

توقف!! إلى أين تسير؟! إلى أين تتجه؟!

بأي عقيدة تسير؟!

فيم تفكر؟! وإلامَ تقصد؟!

(ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق : 1]

يقسم الله – عز وجل – بالقرآن، وأنه المجيد، الذي له المجد، ويعطي المجد، وأن الحياة بدون قرآن؛ لا مجد فيها.. والذي سيتوقف ويسير دون أن يكون القرآن نورًا له في حياته، فسوف يظل في غفلة، وفي سكرة، ولن يفيق أبدًا.

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) [ق : 2]

لماذا يتعجبون؟!

عجبوا أن جاءهم منذر!

وهل هذا شيء عجيب؟!

خلق الله – عز وجل – السماوات، وخلق الأرض، والجبال، والدواب والأنعام، والنبات، ثم يتعجبون بعد كل هذا؛ أن يكون الخلق لغاية!

أيُ فطرة وأيُ عقل يفكر –ولو للحظة– سيوقن أن هذا الخَلق خُلِق لغاية ولم يُخْلق عبثًا، فمن الطبيعي أن يأتهم منذر، فلماذا يتعجبون؟!

دائمًا يتعجب الناس حين تريد أن توقفهم عن طريقهم، وتقول لهم: هذا حرام .. لا تسر في هذا الطريق..

هذه هي وظيفة النذارة، هذا هو الإنذار، لذلك دائمًا يتعجبون، حين يسمعون كلمة ((حرام))، أو حين يسمعون أن الله – عز وجل – حرم هذا الطريق، يتعجبون ..

ولماذا يتعجبون؟!

يريد أكثر الناس أن يَفْجُر أمامه، أن يفعل ما يشاء، لا يريد أن يوقفه أحد أبدًا، فإذا أوقفه أحد وقال له: توقف، هذا حرام ... يتعجب!!!

يقول لماذا حرام؟!

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) [ق : 2]

تعجبوا من الإنذار، قبل أن يتعجبوا أنه منهم، قالوا: حتى لو هناك إنذار؛ فلا يصلح أن يكون منك، ولكن يلزم أن يكون من مَلَك مُرسل!

والحقيقة أنهم لم يتعجبوا لذلك، بل هم يريدون أن يفعلوا ما يشاؤون.

كما أخبر الله – عز وجل – وقال: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) [ق : 5]

يريد أن يفعل ما يشاء، دون أن يُوقفه أحد.

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق 2 :3]

عجيب ما يقولون!!

هل يتعجبون من البعث؟!!

أم يتعجبون من النذارة؟!!

أم يتعجبون من كون النذير بشرًا؟!

أين وجه التعجب!!!

فيرد الله – عز وجل– عليهم : لو كان التعجب من البعث فإنه:

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) [ق : 4]

ولكن القضية ليست في التعجب، القضية:

(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) [ق : 5]

القضية أنهم يُكذبون بالحق..!

ليس التعجب من البعث، وليس التعجب من الإنذار، وليس التعجب من بشرية الرسول، ليس هذا كله..

ولكن هذه كلها إنما هي شُبهات، تُغطي على ما في نفوسهم من حب الفجور، والتمتع بالدنيا وملذاتها.

- نفس القضية التي وردت في سورة القيامة: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) [القيامة 1 : 3]

تأتي هنا في سورة ق: (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق : 3]

- وأيضًا ورد في قوله تعالى : (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة : 4]

كقوله تعالى : (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) – سورة ق

- ثم قوله تعالى في سورة القيامة: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) [القيامة : 5]

كقوله في سورة ق: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) [ق : 5]

سورة القيامة	سورة ق
(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)	(أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)
(بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)	(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ)
(بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ)	(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)

هذه السورة التي تواجه المنكرين للبعث..

هذه السورة التي توقظ الإنسان وتفيقه من غفلته..!

من محاور هذه السورة بيان الغفلة التي كان فيها الإنسان قبل سورة (ق)، والسكرة التي كان فيها الإنسان قبل سورة (ق)..

هذه السورة التي تهز الإنسان هزًا عنيفًا كي يفيق على الحقيقة..

هذه السورة التي قال الله – عز وجل – فيها: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [ق : 22]

هذه السورة تحول بصر الإنسان، إلى بصر حديد (من الحدة)، ينظر إلى أحداث يوم القيامة، بل ويستمع إلى أحداث يوم القيامة، يعيش لحظات يوم القيامة تفصيلًا في هذه السورة.

هذه السورة من استمعها بقلبه كما قال تعالى:
(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق : 37]
فالذي يستمع لهذه السورة بقلبه، أو بأُذُنه، ويشاهد ما فيها من الأحداث؛ حتمًا وقطعًا سيفيق من غفلته.. تعالج هذه السورة [قضية الغفلة]..

هذه السورة تنزع الغطاء عن عين الإنسان، (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) [ق : 22]
هذا الغطاء الذي يتكون من الانغماس في الحياة الدنيا؛ فكثرة التعامل في متاع الدنيا، وكثرة الانغماس في الأسباب يُكوِّن غطاء سميك على العين، وران سميك على القلب.

فلا يبصر الإنسان حقيقة الدنيا، ولا يبصر حقيقة الدار الآخرة.
تأتي هذه السورة لتنزع هذا الغطاء، بوسائل شتى..

❖ كيف تنزع سورة (ق) هذا الغطاء السميك عن بصر الإنسان؟!

تُحدثنا السورة عن هيمنة الله عز وجل، وقبضته لهذا الكون وهذا الإنسان، وأن هذا الإنسان محاصر في كل لحظة من لحظات حياته، بل حتى وهو ميت، وهو جثة هامدة في الأرض، توضح السورة أن الله عز وجل يهيمن على هذا الكون..
يقول ربنا عز وجل: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) [ق : 4]

كل دودة تأكل كل جزئية في جسد الإنسان؛ يعلمها الله –عز وجل–، أي ذرة من جسد الإنسان تنتقل في أي مكان في الكون يعلمها الله عز وجل.

وانظر إلى ذلك الرجل الذي كان يسرف على نفسه في المعاصي، فأوصى أولاده وقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فُعلوا به ماطلب .

فقال الله عز وجل للأرض: أدي ما أخذتِ، وفي رواية البخاري: اجمعي ما أخذتِ[4]

أي:كل جزئية أخذتيها رديها، فأدت الأرض ما أخذت، فقام الرجل بين يدي الله عز وجل.

(قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) [ق : 4]

هيمنة الله عز وجل على جسد الإنسان بعد موته ..

(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق : 16]

هيمنة الله عز وجل على وساوس الإنسان..!

انظر إلى الرقابة!

رقابة حتى على الخواطر...

رقابة على الوساوس...

(ونعلم ما توسوس به نفسه)

وليس (ما توسوس نفسه)

ولكن ما توسوس به نفسه، في كل كلمة وفي كل خاطرة، يعلمها الله عز وجل.

(..ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

قيل: هو وريد في الرقبة، لو قُطع لمات الإنسان.

قمة الهيمنة والسيطرة على رقبة الإنسان، وجسد الإنسان، ولو شاء الله –عز وجل– أن يؤاخذ الناس بالخواطر، وعند أول خاطرة سيئة يُقبض الإنسان؛ لفعل ..

فالإنسان ليس بعيدا عن هيمنة الله –عز وجل–، وعن قدرة الله –عز وجل.

(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

كل الخواطر ..وكل الكلمات..

[4] مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٧٥٦ • [صحيح]

(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد* ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق 16 : 18]

الإنسان حين يتكلم أو يلفظ.. هو تحت قبضة الله، والله عز وجل قد يؤاخذه في لحظة بما يقول، ولكن يتركه.. يمهله.

ولكن الكلام لن يضيع.. الكلام يُكتب ..!

(إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد)

قاعدَيْن كل وظيفتهم: تلقي ما تقول وكتابته، أحدهما يَرقب حسانتك، والآخر يَرقب سيئاتك..

انظر إلى الرقابة..!

رقابة على الخواطر!!

رقابة على الجسد!!

رقابة على الكلمات والألفاظ!!

كل لفظة...!

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق : 18]

وبينما الإنسان في خواطره ووساوسه يفكر .. وإنسانٌ آخر يتكلم .. وفجأة!! ...

(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) [ق : 21]

على الرغم أنه كان في حياته يتعجب قائلًا: (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق : 3]

قد كان في الدنيا غافلًا، يفكر في الوساوس وفي الشهوات، ويفعل ما يشاء، ويتكلم بما شاء، ونسي أن الله أقرب إليه من حبل الوريد، ومع طول الأمد في هذه الدنيا، نسي أنه محاصر وأنه مراقب، نسي أنه في قبضة الله تعالى، وقد يؤخذ في أي لحظة، (إن أخذه أليم شديد) [هود : 102]

غَره الإمهال، فجعل يتكلم بما يشاء ويفعل ما يشاء، والمَلَكان يكتبان، وفجأة!!...

(وجاءت سكرة الموت بالحق) [ق : 19]

تلك السكرة التي حولت الدنيا إلى سراب، والآخرة إلى يقين، بعد أن كانت الدنيا يقين، والآخرة سراب..

تحولت الأمور، وتبدلت الموازين... أصبحت الدنيا سراب وانتقل إلى عين اليقين.

(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) [ق : 19]

كنت تهرب وتفر منه، لم تكن تريد تَذَكُّر الموت أو السماع عنه، لما كانت تمر جنازة، كنت توليها ظهرك، لا تريد أن تُفيق، لا تريد أن تسمع الإنذارات.. (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) [ق : 2]

تأبى أن تسمع أحدًا ينذرك بيوم القيامة.. (ذلك ما كنت منه تحيد) [ق : 19]

وتتوالى الأحداث مع الآيات:

(ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) [ق : 20]

انظر إلى ترتيب الآيات وتوالي الأحداث:

جالس يفكر في الوساوس والخواطر السيئة –> الحديث عن الرقابة –> جاءت سكرة الموت –> نفخ في الصور –> انتقل إلى الدار الآخرة..!

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) [ق : 22]

الآن تُبصر النار، وتُبصر الصراط، وتُبصر الحساب، والكتاب، وتُبصر الصحائف والميزان، وكل شيء مكتوب في صحيفتك!!!

كل الكلام عن الغيب أصبح الآن حقيقة!!

صدمة.. لكل معرض!!

صدمة.. لكل مكذب!!

صدمة.. لكل غافل!!

كل التخويف والكلام الذي كان يُعرِض عنه، أصبح الآن حقيقة..

سوف يشاهد تفاصيل الحياة الأخرى!!

وحين ينظر إلى صحيفته: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف : 49]

ما من عمل...وما من كلمة.. ولا لفظة.. ولا نظرة.. ولا خاطرة.. إلا ويعلمها الله، وقد كتبت في صحيفته

(لقد كنت في غفلة من هذا) [ق : 22]

كنت تعيش الحياة الدنيا ، لا تذكر اليوم الآخر، ولا تعمل له حسابًا في حياتك وأعمالك وتصرفاتك.

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) [ق : 22]

قيل أن هذه الآية أُوحيت للنبي صلى الله عليه وسلم، لما نزلت عليه سورة ق، وغيرها من سور القرآن التي تتحدث عن يوم القيامة.

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم تفاصيل الدار الآخرة؛ إلا بعد نزول القرآن، وبعد قراءته للقرآن أصبح بصره حديدًا، أصبح يبصر يوم القيامة..

كذلك.. [**الإنسان من غير القرآن لن يستطيع أن يبصر تفاصيل يوم القيامة**]

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت" [5]

فالذي يريد أن يرى القيامة رأي العين فليقرأ القرآن..

بصرك سيتحول إلى حديد..

والذي لم يكن بصره حديدًا في الدنيا؛ سيصبح حديدًا في الآخرة... لابد!

إن كنت في غفلة عن سورة ق ومن غيرها من سور القرآن، سوف تفيق حتمًا يوم القيامة، فالأولى للإنسان أن يفيق في الدنيا!!

لابد أن يصبح بصره حديدًا في الدنيا، لابد أن يعايش تفاصيل يوم القيامة..

هذه السورة أُفردت بتفاصيل هذا اليوم، وتفاصيل الحساب، والعرض على الله عز وجل.

(وقال قرينه هذا ما لدي عتيد) [ق : 23]

لايزال في غفلة، غير مدرك لما يحدث..

كان منشغلا في خواطره ؛ في وساوسه ؛ في أحاديثه... وفجأة مات ...وفجأة نفخ في الصور...!

[5] الترمذي (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي ٣٣٣٣ • حسن غريب • أخرجه الترمذي (٣٣٣٣)، وأحمد (٤٨٠٦)

لا مفر.. لا فكاك..

يساق هو وعمله للعرض على الله ..

ويقدم المَلَك صحيفته لله قائلا : (هذا ما لدي عتيد) [ق : 23]

كل عمله معد وحاضر بلا زيادة أو نقصان، ويعرض على الله !!

تخيّل!!! لو أن صحيفة الإنسان التي فيها سيئاته، ستعرض على الناس في الدنيا!!

تخيل لو أن إنسانًا اطَّلع على السيئات التي في صحيفتك، ونشر هذه السيئات بين الناس!!

كَمْ سيكون كَمُّ الخزي والعار الذي يشعر به الإنسان حينها ؟!

فكيف إذا عُرضت هذه السيئات على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، ويُنادي ويُقال له :

(هذا ما لدي عتيد) [ق : 23]

كل شيء مكتوب، كل شيء مُعد وجاهز، من خاطرة أو لفظة، من قول أو فعل أو نظرة، كل شيء..

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق : 18]

وفي الحديث: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سبعين خريفاً"[6]

وفي رواية أخرى عن بلال بن الحارث:

"... وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل بها عليه سخطه إلى يوم القيامة"[7]

فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.

فكلما هممت بالكلام تذكر: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[8]

---

[6] [عن أبي هريرة:] إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ. - البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٧٨ • [صحيح]

[7] [عن بلال بن الحارث المزني:] إنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخَطِ اللهِ ما يظُنُّ أن تبلُغَ ما تبلُغُ فيكتبُ اللهُ بها سَخطَه إلى يومِ القيامةِ - النسائي (٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى ١١٧٧٠ • موسى بن عقبة لم يسمع من علقمة بن وقاص

[8] ٦- [عن أبي هريرة:] مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِفَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. - البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٧٥ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٧٥) واللفظ له، ومسلم (٤٧)

(واليوم الآخر) لأنه يعلم أنه سيحاسب على كلامه وما يقول، فيتوقف ويتأمل في الكلام قبل أن يقوله.

ثم يقول الله عز وجل:

(ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب) [ق 24 : 25]

لما نسينا الدار الآخرة وتركناها.. أصبحنا في أمر مريج!!

لما نسينا الدار الآخرة وتركناها.. أصبحنا في لبس من خلق جديد!!

لما نسينا الدار الآخرة وتركناها.. أصبحنا في أمر مريب!!

أمر مريب.. حياة الناس أصبحت كلها شكًا، يتأثر الإنسان بأي شبهة تشككه في دينه، أي قضية في الدنيا يصيبنا فيها التشكيك والحيرة، وكذلك أي قضية في الدين .. وذلك لما ابتعدنا عن الدار الآخرة..

لن ينجو في الدنيا؛ **إلا** الخائف من الدار الآخرة :

(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) [ق : 45]

لن ينتفع بالقرآن، إلا الذي يخاف من وعيد الله..!

القرآن لا يؤثر في قلوب مُعرضة عن وعيد الله..!

(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) [ق : 45]

(من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) [ق : 33]

هذا هو الذي يؤثر فيه القرآن.

(ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد) [ق 24 : 26]

تخيل هذا المشهد، بينما الإنسان واقف في هذا الموقف، ينظر في صحيفة سيئاته، غير مصدق أن مستقبله ينتهي بهذا الخزي والخسران، انتهت الحياة بلا رجعة أو فرصة للتدارك .. وكل الذي عمله مكتوب ..

وفي آخر لحظة يسمح له فيها بالكلام.. يمسك في قرناء السوء، من الجن والإنس، ويعود عليهم باللوم والعتاب...

أنت الذي أضعتني ..!!

أنت الذي حرضتني على هذا القول وهذا الفعل..!!

أنت الذي أضللتني!!

وهنا يقول قرينه – سواء أكان من الجن أو من الإنس– :

(ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) [ق : 27]

وكما قال تعالى في سورة سبأ : (..... يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۖ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) [سبأ 31 : 32]

أنت الذي أضعت نفسك ..!

كما أن الشيطان يقول لهم (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم) [إبراهيم : 22]

(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) [ق : 27]

أي خزي أشد من هذا!!

(قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) [ق : 28]

وبينما هم يتخاصمون مع بعضهم، يقول الله تعالى: (لا تختصموا لدي)

فهذا ليس وقتًا ولا مَقامًا للخصام، فلن ينفعكم الآن الخصام في شيء.

(وقد قدمت إليكم بالوعيد)

قد قدم الله لنا بالوعيد في الدنيا، في سورة ق، وفي غيرها (وقد قدمت إليكم بالوعيد)

أخبرتكم في الدنيا، وأعلمتكم بهذا الوعيد، وأعذرت إليكم .

(ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) [ق : 29]

تخيل المشهد، وقد حان دورك في الحساب، ستحاسب الآن، وإذا بالذي كان يحاسَب قبلك، إذا بك تعرفه، ورأيته وهو يُلقى في النار، وإذا بك ترى هذا المشهد وتسمع :

(يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد) [ق :30]

ربما كان يُمَني نفسه، أن تمتلأ جهنم فلا يبقى له فيها مكان.. ولكن لا أمل ولا رجاء في ذلك!! انقطع ذاك التمني..

(وتقول هل من مزيد) ؟

ليس هناك أي فرصة للهرب ..!

تخيل إحساس المرء حينها، والرعب الذي يتملكه!!

ولكن يُطمئن الله عز وجل أهل الإيمان:

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) [ق : 31]

أخيرا هناك فرصة للنجاة (هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) [ق : 32]

وكما أن السورة تكلمت عن حفظ الله للمرء وأعماله، يأتي لك الحل هنا وهو أن تحافظ على أعضاءك.. تحافظ على سمعك، وعلى بصرك، وعلى لسانك، وعلى قلبك وعقلك وخواطرك، لأن كل ذلك محفوظ عند الله مكتوب.

فلن ينجو يوم القيامة إلا الحفيظ، الذي حافظ على حدود الله، وحفظ جوارحه وأعماله وخواطره!!

(هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) [ق : 32]

كيف أحفظ خواطري؟! كيف أحفظ سمعي وبصري ولساني؟! هذا هو السبيل ..

(من خشي الرحمن بالغيب) [ق : 33]

أن يمتلأ قلبك بخشية الله وخوفه وتعظيمه..

حينها سيكون قلبك متجهًا إلى ربه، كثير الرجوع إليه : (وجاء بقلب منيب) [ق : 33]

(ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) [ق : 34]

أجمل كلمة ينتظرها المؤمن، بعد تعب الدنيا، وكبدها والصبر على ابتلاءاتها.

(لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) [ق : 35]

والمزيد هو : رؤية وجه الله عز وجل...اللهم إنا نسألك من واسع فضلك.

⁂ في رحاب السورة.. تأمّل وتدبّر ..

أحبتي في الله..

كل إنسان مطالب بمفرده أن يقرأ القرآن..

كل إنسان مطالب أن يُبصر هذه الحقيقة بنفسه، فلا أحد يملك قلب أحد غيره..

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [محمد : 24]

لابد أن تجاهد أنت في قراءة القرآن..

التَبصُر والتأثر بسورة ق، لن يستطيع أن يقوم به أحد غيرك، حتى لو شُرحت لك معانيها، وأُخبرت بما فيها من الفوائد والعبر، ووُصفت بعض المشاهد فيها، فلن يدخل هذا التأثير قلبك على الحقيقة حتى تتذوقه بنفسك، وتلمسه بقلبك..

لابد أن تستمع إلى السورة بنفسك وتقرأها وتتدبرها بقلبك :

(واستمع يوم ينادِ المنادِ من مكان قريب) [ق : 41]

(واستمع) لابد أن تستمع أنت..!

لابد أن تعيش أنت مشاهد الدار الآخرة..!

أن تقرأ قراءة تكشف الغطاء عن عينك، لن يفعل ذلك أحد غيرك، هي فقط مساعدات.

تدبر هذه السورة وتأمل :

- كيف نزعت الغطاء عن خلق السماوات والأرض، وعن الخلق الأول :

(أفعيينا بالخلق الأول) [ق : 15]

فهي تحدثنا عن الخلق الأول.. عن خلق السماوات والأرض، وخروج النبات من الأرض..

- تكشف الغطاء عن مصير الأمم السابقة : (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود* وعاد وفرعون وإخوان لوط* وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) [ق 12 : 14]
(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشًا فنقبوا في البلاد هل من محيص) [ق : 36]
- هيمنة الله على **الكون**، مهما نقبوا في البلاد، أين سيذهبون ويفلتون من قبضة الله عز وجل!!

كما قال تعالى :

(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين) [الأنبياء : 11]

الله عز وجل قَصَم قرونًا وقرى كثيرة كانت ظالمة، ولم يفلت منهم أحد من عذاب الله .

(فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون* لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون* قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين* فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) [الأنبياء 12 : 15]

هذه الآيات كقوله تعالى هنا في سورة ق: (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشًا فنقبوا في البلاد هل من محيص) [ق : 36]

- هيمنة الله عز وجل على جسد الإنسان.. على خواطر الإنسان.. على كلام الإنسان .. على الأرض ... على السماوات...على الأمم السابقة..!

السورة تنزع الغطاء..!

عن تفاصيل الحساب..

عن كلام جهنم وغضب جهنم لله، وقولها " هل من مزيد "..

عن الجنة..

[السورة تجعلك تعيش بكل حواسك في الدار الآخرة، السورة تجعلك ترى يوم القيامة]

وتسمع :

(واستمع يوم ينادِ المنادِ من مكان قريب* يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) [ق 41 : 42]

هذه السورة تجعلك تُعمِل حواسك تجاه يوم القيامة، ولكن مهما فعل المفسرون والعلماء، لن يجعلوك (تستمع)..! هي فقط مساعدات..

لابد أن تستمع بنفسك إلى سورة ق وتقرأها بنفسك، افتح سورة ق، **اقرأ سورة ق..!**

كلما تقرأ سورة ق أكثر، كلما تنزع الغطاء عن عينك أكثر، كلما يتحول بصرك إلى حديد، بصر نافذ في تفاصيل الدار الآخرة

كلما تقرأ سورة ق ..كلما حافظت أكثر على حواسك، وأعمالك، وأقوالك، وخواطرك

كلما تقرأ سورة ق ..كلما يزداد شوقك إلى كلمة (ادخلوها بسلام) كلما يزداد خوفك من كلمة (هل من مزيد)

تعيش مترقبًا منتظرًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ حَتَّى يُؤْمَرَ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخ) فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلى أَصْحَابِ رسولِ اللَّه ، فقالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "[9]

النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر، كما قال تعالى له (واستمع يوم ينادِ المنادِ من مكان قريب) فظل عليه الصلاة والسلام ينتظر أن يستمع.

هذه السورة تجعلك تنتظر وترقب، سماع هذه اللحظة المدوية، هذه النقلة إلى عالم الغيب.

يعيش الإنسان في هذه الدنيا، وهو يعلم أن كل ما يقول ويفعل له أثر في الدار الآخرة، الكلمة الطيبة ترفعه، والكلمة السيئة والخبيثة، قد تهوي به في النار...

الكلمات البسيطة لها أثر عظيم في الآخرة والميزان، يعلم أن كلمة (سبحان الله وبحمده) الآن، لها أثر في الآخرة، يُغرس بها نخلة في الجنة ساقها من ذهب،[10]

الآن يعيش في الدنيا، مرتبطًا بالدار الآخرة، يخشى الرحمن بالغيب، ويحافظ على قلب منيب، ويكون أوابًا حفيظًا، يحافظ على حدود الله، وعلى أمانات الناس، وعلى جميع حواسه وأعضائه، ويتَّبع جميع وصايا النبي صلى الله عليه وسلم.

إنها سورة تهز كيان الإنسان، فيكون مرتبطًا بالآخرة، ولهذا أكثر النبي –صلى الله عليه وسلم– من قراءتها على المنبر، وقراءتها على الناس في التجمعات الكبيرة (صلاة العيد).

---

[9] الترمذي (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي ٢٤٣١ • حسن

[10] [عن أبي هريرة:] ما في الجَنَّةِ شجرةٌ إلّا سافُها مِن ذهَبٍ - ابن حبان (٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان ٧٤١٠ • أخرجه في صحيحه

فاللهم انفعنا بسورة ق، وانزع بها عنا الغطاء، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.